سلسلة الدروس (١٦)
١٤٤٨هـ

شرح

الصحيح المسند

من الشمائل المحمدية

للشيخة
أم عبد الله بنت الشيخ مقبل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى

دار الوادعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس(١٢)

قَالَت شَيخَتُنَا أُمُّ عَبدِاللهِ بِنتُ الشَّيخِ مُقبِلٍ غَفَرَ اللهُ لَهَا وَلِوَالِدَيهَا:

اشْتِهَارُهُ ﷺ قَبْلَ النُّبُوَّةِ بِلَقَبِ الْأَمِيْنِ:

١-قال الإمام أحمد (٢٤/ ٢٦١): حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ يَعْنِي: أَبَا زَيْدٍ، حَدَّثَنَا هِلَالٌ يَعْنِي: ابْنَ خَبَّابٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ مَوْلَاهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ يَبْنِي الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: وَلِي حَجَرٌ(١) أَنَا نَحَتُّهُ بِيَدَيَّ أَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ اللهِ ﷻ، فَأَجِيءُ بِاللَّبَنِ الْخَاثِرِ(٢) الَّذِي أَنْفَسُهُ(٣) عَلَى نَفْسِي، فَأَصُبُّهُ عَلَيْهِ، فَيَجِيءُ الْكَلْبُ فَيَلْحَسُهُ، ثُمَّ يَشْغَرُ(٤) فَيَبُولُ فَبَنَيْنَا حَتَّى بَلَغْنَا مَوْضِعَ الْحَجَرِ(٥)، وَمَا يَرَى الْحَجَرَ أَحَدٌ، فَإِذَا هُوَ وَسْطَ حِجَارَتِنَا مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ، يَكَادُ يَتَرَاءَى مِنْهُ وَجْهُ الرَّجُلِ (٦)، فَقَالَ بَطْنٌ (٧) مِنْ قُرَيْشٍ: نَحْنُ نَضَعُهُ، وَقَالَ آخَرُونَ: نَحْنُ نَضَعُهُ، فَقَالُوا: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ حَكَمًا، قَالُوا: أَوَّلَ رَجُلٍ

---

(١) أي: صنم من الأحجار.

(٢) اللبن الخاثر: اللبن الغليظ ضد الرقيق. كما في كتب اللغة.

(٣) أي: أبخله.

(٤) شَغَرَ الكَلْبُ إِذَا رفَع إِحْدَى رِجْليه؛ ليَبُولَ. كما في «النهاية»(٢/ ٤٨٢).

(٥) أي: الحجر الأسود.

(٦) أي: يكاد يُرى وجه الرجل من نوره. كما في «حاشية البنا على مسند أحمد»(٢٠/ ٢٠٠).

(٧) البطن كما في «تحفة الأحوذي»(٩/ ٩٠): مَا دُونَ الْقَبِيلَةِ وَفَوْقَ الْفَخِذِ. اهـ.
على هذا القبيلة أوسع، والبطن أقل.

يَطْلُعُ مِنَ الْفَجِّ [٨]، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالُوا: أَتَاكُمُ الْأَمِينُ، فَقَالُوا لَهُ، فَوَضَعَهُ فِي ثَوْبٍ،

(٨) الفج: الطريق الواسع. كما في «مجمل اللغة»(٧٠١).

ثُمَّ دَعَا بُطُونَهُمْ فَأَخَذُوا بِنَوَاحِيهِ مَعَهُ، فَوَضَعَهُ هُوَ ﷺ (٩) ١٠.

---

(٩) في هذا الحديث:

ما كانوا عليه في الجاهلية من الحماقات والشركيات.

وفيه: أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان معروفًا عندهم بخلق الأمانة؛ ولهذا لقبته قريش بالأمين، فهذا وصف للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قبل المبعث وبعده، قال الله تَعَالَى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[المؤمنون: ٦٩].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: أَيْ: أَفَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مُحَمَّدًا وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَصِيَانَتَهُ الَّتِي نَشَأَ بِهَا فِيهِمْ، أَفَيَقْدِرُونَ عَلَى إِنْكَارِ ذَلِكَ وَالْمُبَاهَتَةِ فِيهِ؟. اهـ المراد.

وقال جعفر بن أبي طالب للنجاشي رحمه الله: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ تَعَالَى؛ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ. وَنَهَانَا عَنْ: الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ. وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ. الحديث رواه الإمام أحمد رحمه الله (١٧٤٠) عن أم سلمة، وهو في «الصحيح المسند» (١٦٥١) لوالدي رحمه الله.

وروى الإمام البخاري(٤٣٥١)، ومسلم(١٠٦٤) عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ، قال النَّبِيّ ﷺ: «أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً».

أي: كيف لا تأمنوني وأنا أمين من في السماء-وهو الله سُبحَانَهُ-على وحيه وتبليغ رسالته؟

وفيه: إعادة قريش بنيان الكعبة، والكعبة مرت بمراحل، وقد كانت موجودة قبل أبينا إبراهيم، فعند أن ذهب إبراهيم عليه السلام وترك هاجر وولدها إسماعيل عند الكعبة، قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ

﴿أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وقال تَعَالَى:﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾[الحج: ٢٦].

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»(٤/ ٢٩٦) في التعليق على هذه الآية التي في سورة إبراهيم: يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَبْنِيًّا وَانْدَرَسَ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ هُنَا: ﴿مَكَانَ الْبَيْتِ﴾؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهُ مَكَانًا سَابِقًا، كَانَ مَعْرُوفًا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ.

وذهب كثير من أهل العلم أن أول من بناها إبراهيم، قال الله تَعَالَى:﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧]، واستدلوا أيضًا بالآية السابقة: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾[الحج: ٢٦].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره»(٥/ ٤١٣): هَذَا فِيهِ تَقْرِيعٌ وَتَوْبِيخٌ لِمَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ، وَأَشْرَكَ بِهِ مِنْ قُرَيْشٍ، فِي الْبُقْعَةِ الَّتِي أسسّت مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ بَوأ إِبْرَاهِيمَ مكانَ الْبَيْتِ، أَيْ: أَرْشَدَهُ إِلَيْهِ، وَسَلَّمَهُ لَهُ، وَأَذِنَ لَهُ فِي بِنَائِهِ. وَاسْتَدَلَّ بِهِ كَثِيرٌ مِمَّنْ قَالَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ، عليه السلام، هُوَ أَوَّلُ مَنْ بَنَى الْبَيْتَ الْعَتِيقَ. اهـ.

وفيه: أن قريشًا كانت تعظم الكعبة، ومن تعظيمهم لها: أنهم كانوا يخافون من الدعاء عليهم عندها؛ ولهذا هنا اختلفوا من الذي ينال شرف إعادة الحجر الأسود مكانه، ثم اتفقوا أن يحكِّموا

ح-رَعْيُهُ الغَنَمَ قَبْلَ البِعْثَةِ:

٢-قال الإمام البخاري رحمه الله (٢٢٦٢): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَكِّيُّ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ»**، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: **«نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ[١١] لِأَهْلِ مَكَّةَ»**.

أول طالع المسجد، فكان أول من دخل النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقالوا: هذا الأمين، فَحَكَم بما يرضيهم، ويقطع خلافهم.

وفيه: أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان مصونًا قبل البعثة عن خصال الجاهلية وأخلاقهم السيئة، حتى إنهم قالوا لما قال لهم: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا. أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما. فشهدوا له بالصدق مع أنهم أعداؤه، وقد قيل: والفضل ما شهدت به الأعداء.

١٠ هذا حديثٌ صحيح.

وثابت: ابن يزيد الأَحْولُ، أبو زيد البَصْريُّ: ثقةٌ ثَبْتٌ.

والحديث أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١٦٨٣)، وعنده التصريح بالصحابي: قَالَ لِي مَوْلَايَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّائِبِ. ومن طريق الحاكم ذكره والدي رحمه الله في «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين»(٢٢٣١).

وذكره الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في «صحيح السيرة» (٤٥).

١١ في معنى: «قراريط» في هذا الموضع قولان لأهل العلم:

أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه (٢١٤٩).

٣-قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٤٠٦): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ (١٢)، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ (١٣)، عَنْ يُونُسَ (١٤)، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ (١٥)، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ (١٦)، أَنَّ **جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَجْنِي الْكَبَاثَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ»**. قَالُوا: أَكُنْتَ تَرْعَى الْغَنَمَ؟! قَالَ: **«وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا»**.

وَأَعَادَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٤٥٣)، بِزِيَادَةِ: **«بِمَرِّ الظَّهْرَانِ»**[١٧] قَبْلَ: **«نَجْنِي الكِبَاثَ»**[١٨].

١-أنه يرعى بأجرة قراريط، يعني: القيراط الذي هو جزء من الدينار أو الدرهم.

٢-أنه اسم موضع بمكة. ينظر «الفتح».

(١٢) يحيى بن عبدالله بن بكير.

(١٣) الليث بن سعد أبو حارث الفهمي، عالم مصر ومفتيها.

(١٤) يونس بن يزيد الأيلي.

(١٥) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب أبو بكر الزهري.

(١٦) جده عبدالرحمن بن عوف.

١٧ قوله: «بمر الظهران». الظهران واد قرب مكة وعنده قرية يقال لها: مر، تضاف إلى هذا الوادي. «معجم البلدان» (٤/ ٧١).

١٨ وقوله: «نجني الكباث». نجني، أي: نقتطف. كما في «الفتح».

قال النووي في «شرح صحيح مسلم»: قال أهل اللغة: هو النضيج من ثمر الأراك.

وفيه: فضيلة رعاية الغنم.

وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٠٥٠).

قَالُوا: وَالْحِكْمَةُ فِي رِعَايَةِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ لَهَا؛ لِيَأْخُذُوا أَنْفُسَهُمْ بِالتَّوَاضُعِ، وَتَصْفَى قُلُوبُهُمْ بِالْخَلْوَةِ، وَيَتَرَقَّوْا مِنْ سِيَاسَتِهَا بِالنَّصِيحَةِ إِلَى سِيَاسَةِ أُمَمِهِمْ بِالْهِدَايَةِ وَالشَّفَقَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

هذه ثلاث حكم: الأولى: تربية النفس على التواضع؛ لأن رعاية الغنم ليس كرعاية الإبل، ولتصفية قلوبهم بالخلوة؛ إذ الانفراد عن الناس تصفى القلوب عن الأفكار والتشويش؛ ولأن الغنم تحتاج إلى سياسة فهي تتفرق هنا وهنا، فيترقوا من سياستها إلى سياسة أممهم بالرفق والصبر والعطف والشفقة.

قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٤/ ٣٤٤): وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِبَاحَةُ التَّحَدُّثِ عَنِ الْمَاضِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ لِسِيَرِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ.

وَفِيهِ: أَنَّ التَّحَرُّفَ فِي الْمَعِيشَةِ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا -إِذَا لَمْ تَنْهَ عَنْهُ الشَّرِيعَةُ- نَقِيصَةٌ.

وَفِيهِ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ أَحْوَالُهُمْ فِي تَوَاضُعِهِمْ غَيْرُ أَحْوَالِ الْمُلُوكِ وَالْجَبَّارِينَ، وَكَذَلِكَ أَحْوَالُ الصَّالِحِينَ. اهـ.

قوله: (وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِبَاحَةُ التَّحَدُّثِ عَنِ الْمَاضِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ لِسِيَرِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ) وهذا يكون بما ثبت.

قوله: (وَفِيهِ أَنَّ التَّحَرُّفَ فِي الْمَعِيشَةِ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا -إِذَا لَمْ تَنْهَ عَنْهُ الشَّرِيعَةُ- نَقِيصَةٌ) أي: المكاسب.

نكون قرأنا ثلاثة أحاديث: الحديث الأول عن مولى مجاهد، وهو عبدالله بن السائب.

والحديث الثاني والثالث: في رعي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الغنم قبل البعثة، والله أعلم.